

سمات التقليد في الشعر الجاهلي العربي

Traditional features of ancient poetry in Arabic

*ڈاکٹر محمد فیصل: اسٹنٹ پروفیسر، ہری پور یونیورسٹی، ہری پور

**ڈاکٹر محمد اسلم: اسٹنٹ پروفیسر، شعبہ عربی، بین الاقوامی اسلامی یونیورسٹی، اسلام آباد

ABSTRACT

The poetry of the ignorant age has been of great importance in Arabic literature. And has remarable effects on the poetry of the next eras. So that it has always gained the attention of the schalors of the Arabic poery. It is famous for its traditional and cultural values that people inherited during the span of time.No dout it the real portrate of their habits, cults and ways of live.the hard geographical conditions like vast desert araeas and the arid mountains and search for water and fodder created peculiar culture, social behaviours and customs in the arabs of ignorant age which were expressed in the occasion of the happiness and grief, in the battle and peace. So their poetry is real sketch of their traditions.

Key Words:Arabic Literature,Poery, Habits.

المدخل بالعربية: يعد عصر الجاهلي من أخصب العصور بلحاظ الشعر، وله دور مميز في الأدب العربي ونال حظا وافرا من اهتمام النقاد والمتأديين في كل عصر من العصور، وحفظ شعر الجاهلي تقاليدهم وعاداتهم في مواقف الفرح والحزن والحرب والسلام وعند المفاخرة والثناء، والعداوة والهجاء، حيث إنه يمثل تصويرا صادقا للعواطف الداخلية وتمثيلا كاملا للتقاليد المتوارثة فلا يقل قيمته التاريخية في كل عصر من العصور، واعترفوا بذلك العلماء تاريخ الأدب العربي: "عرف الشعر الجاهلي بدقة الحس وخصب الشعور، وصدق الفن، وصفاء التعبير، وأصالة الطبع، وقوة الحياة ما يجعله أصفى تعبير عن نفس العربي وأصدق

مصدرا لدراسة حياته، وحيات قومه من حوله.¹ فالشعر الجاهلي رسمت في داخله انطباعات عناصر البيئة الصحراوية والجبليّة وعاشوا دوماً في التنقل والبداءة فأفكارهم تدور حول الصحراء والأطلال، والسماء الصافي، والنجوم اللامعة، والحصان الجاري يطارد الصيد، وشجاعة الأبطال في الحروب المتتابعة بين القبائل.

من أبرز خصائص الشعر الجاهلي هي، صدق العاطفة، الواقعية، العواطف الفطرية، والشاعر الجاهلي بعيد عن التصنع والتكلف ويصف الأشياء كما يرى بدون زيادة، فالإيجاز من أبرز خصائصه ويقل فيه الاستعارة والمجاز والمبالغة ويتصف بالبساطة والموضوعات المحدودة البسيطة والأفكار غير المرتبطة والاستطراد – أن يطيل القصائد وقد يخرج أحياناً عن الموضوع الأساسي إلى الموضوعات لا تتعلق من قرب أو من بعد وهذا يسمى استطراد⁽²⁾، لو غير ترتيب الأشعار في القصيدة لما ينقص ذلك قيمتها. فالشعر الجاهلي يخلو عن الأفكار الفلسفية المعقدة. ويقول دكتور عمر فروخ في تأريخ الأدب العربي، "كانت البدايات بيئة الشعر الجاهلي ولذلك كان الشعر مرآة للحياة البدوية، يدور حول الجمل والظلل."⁽³⁾ وقال الزيات في خصائص الشعر الجاهلي، "وعوثة الصحراء، وخشونة العيش، وحرية الفكر، وطبيعة الجو، وسداجة البدو، كل أولئك مع الشعر الجاهلي بطابع خاص ... الصدق في تصوير العاطفة، وتمثيل الطبيعة، فلا تجد فيه كلفاً بالزخرف ولا تكلفاً في الأداء، فكثير لذلك الإيجاز، وقل المجاز، وندرت المبالغة."⁽⁴⁾ ويرى الزيات أن ليس عندهم القصيدة المرتبطة بوحدة الأفكار وعدم النظر الفلسفي لديهم كما يقول، "علائق المعاني ضعيفة واهية، ومساق الأبيات منفك مضطرب. فإذا حذف أو قدمت أو

¹ – مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الدكتور ناصر الدين الأسد، دار الجيل – بيروت، 1996م، ص: 5-6

² – تاريخ الأدب العربي، مؤلف: د. عمر فروخ، ط: 8، دار العلم للملايين – بيروت، ص: 87

³ – تاريخ الأدب العربي، مؤلف: د. عمر فروخ، ص: 76

⁴ – تاريخ الأدب العربي، مؤلف: أحمد حسن الزيات، ط: 26، دار الثقافة – بيروت، ص: 20

آخرت لا تشعر القصيدة بتشويه أو نقص، وذلك لأن الساميين ومنهم العرب ينقصهم النظر الفلسفي".⁽¹⁾ وقال أبو محمد (ابن قتيبة): وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكى، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن إلى خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلال، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصباغة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه... وشكا النصب والصهر، وسرى الليل وحر الهجير، وإنضاء الراحلة والبعر... فالشاعر المجيب من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام،⁽²⁾ ويذكر دكتور فروخ الأغراض الشعرية التقليدية لديهم وهي الموضوعات التي يتناولونها في القصيدة، وهي عادة "أمور ممهدة" للفرن (الغرض الرئيس) الذي يرمي إليه الشاعر، ولقد كان الوصف والنسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسيين وأغراض الشعر الجاهلي كثيرة منها:

1- وصف الأطلال:

هذه من تقاليد القصائد العربية القديمة، فمطالعها التقليدية تتحدث عن الأطلال وبكاء الآثار والدمن كما يشير إليه الدكتور صبحي كبانة.⁽³⁾ يأتي الشاعر لزيارة حبيبته فيجد أهلها قد رحلوا بها عن المكان الذي عهدهم نازلين فيه، فيقف على طلل الخيمة (المكان الذي كانت الخيمة منصوبة فيه) فيصفه ويصف ماحوله وينسب بالحبيبة ويتشوق إليها. يقول ابن قتيبة إن الشاعر الجاهلي يبدأ قصيدته بذكر الأطلال التي كانت بيوتا مسكونة من قبل ورحلوا وبينهم حبيبة الشاعر رحلت معهم فيظهر عليها حزنه العميق بذكر

¹ - المرجع السابق، ص: 20

² - الشعر والشعراء، مؤلف: ابن قتيبة، تحقيق: الدكتور عمر الطباع، ط: 1، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت،

³ 1418هـ، ص: 30، 31

- الخصومة بين الطائعين وعمود الشعر العربي، أ. د. وحيد صبحي كبانة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق،

³ 1997م، ص: 6

الأطلال وبما بقيت آثارهم فيها التي عاشت فيها حبيبته في زمن من الزمان وبذلك يصف أحوال السفر والمشقة التي يواجهها ويصف راكبته حتى وصل إلى الممدوح الذي يطلب منه الجائزة، يصف له آلام السفر ومصائب الصيف والحر الحوادث التي وقعت، ثم يذكر جود الممدوح وحسن عطائه. والوقوف على الأطلال ظاهرة جليلة في الشعر الجالي، وكانت عادة العرب أنهم كانوا يفتتحون قصائدهم بوصف الأطلال والبكاء على آثار الديار.⁽¹⁾ وقال شاعر:

يا باكي الأطلال في رسم دمنة ترود بها عين المها والجآذر⁽²⁾
وقول زهير بن أبي سلمى يصف الأطلال وآثار الحبيب:

لمن الديار لقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر
لعب الزمان بها، وغيرها بعدي، سوافي المور والقطر
قفرا، بمن دفع النحائت من ضفوى أولات الضال والسدر³
وقال امرؤ القيس:

غشيت ديار الحي بالبكرات فعارمة ببرقة العيرات⁴

2- وصف الراحلة:

وكذلك يصف الشاعر الراحلة أو المطية (الناقة أو الفرس) التي يركبها للوصول إلى الحبيبة أو الممدوح، وقيل للظعينة الراحلة التي ترحل ويظعن عليها.⁽⁵⁾ وفيه قول عنترة يصف راحلته لما ذهب إلى حبيبته :

¹ - تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، 1999م، ص: 322
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت، 1416هـ، ص: 185 / 12
² - ديوان زهير بن أبي سلمى، الشرح والتقديم: الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية - بيروت، 1408هـ، ص: 54
³ - ديوان امرؤ القيس، شرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، 1425هـ، ص: 85
⁴ - خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1998م، 4 / 190
⁵

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأفضي حاجة المتلوم¹
وفيه قول عبيد بن الأبرص:

إنني اهتديت ركب طال سيرهم في سبب بين دكداك وأعقاد²
وقول امرئ القيس:

تبصر خليلي هل ترى من ظغائن تحملن من وادي العناق وثهمد³
وقال لبید بن ربیعۃ العامري:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها
وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقالمها⁴

3- وصف الصيد:

ويصتاد الجاهلي لسبين: إما طلبا للمعاش كما كان يفعل صعاليك العرب، أو طلبا للهو كما كان يفعل
امرؤ القيس، أو لأنه كان يخرج في حاشية الملوك الذين يذهبون إلى الصيد كالنابغة، وكما قيل:
وَمُطْعَمُ الصَّيْدِ هَبَّالٌ لِيُغَيِّثَهُ أَلْفَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ⁽⁵⁾
وفيه قول امرئ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَائِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَائِدِ هِيَ كُلِّ
مِكْرٍ مِفْرٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَجُلْمُودٍ صَحْرٍ خَطُّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ⁽⁶⁾

¹ - ديوان عنتره بن شداد، الشارح: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي - القاهرة، 1964م، ص: 89

² - ديوان عبيد بن الأبرص، شرح: د. أشرف أحمد عورة، دار الكتاب العربي - بيروت، 1414هـ، ص: 55

³ - ديوان امرئ القيس، تحقيق: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1425هـ، ص: 30

⁴ - ديوان لبید بن ربیعۃ العامري، دار صادر - بيروت، ص: 164

⁵ - الحيوان، الجاحظ، 4/ 438

- جمهرة أشعار العرب، جمع و تدوين: أبو زيد القرشي، شرح: علي محمد الجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،

⁶ ص: 31

4- وصف الطبيعة:

يصف الشاعر عادة ما يرى أثناء رحلته من صحراء أو أودية أو مطر أو رياح أو نهر، وأشهر الوصفين في الجاهلية امرؤ القيس، وأصاب ابن رشيقي لما قال: الشعر - إلا أقله - راجع إلى الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه، ولا سيما أن المناطق الجبلية والصحراوية لها طابع عميق في شعر الجاهلي لا متدادها وسعتها، والحيوان الذي يوجد فيها، حيث يقول طرفة بن العبد يصف المشهد الصحراوي:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد¹

كما قال امرؤ القيس:

وكم دونها ممن مهمة ومفازة وكم أرض جدد دوننا ولصوص²

5- الحماسة:

وهي وصف المعارك والفخر بالنفس أو بالأسلاف، والحماسة أيضا تتضمن المعاني التي تدل على الصبر على الحوادث والتجلد للأيام وعلى عدم المبالاة بما ينشأ عن التحول عن الإلف وترك الصديق والعشير، لأن ترك الوطن والخلال بالعشيرة ربما أدى إلى التخاذل والتقاتل، والصبر عليه كالصبر على القتال. فأصبحت هذه الكلمة أكثر تداولاً في تأليفات المختارات الشعرية مثل الحماسة للبحراني، والحماسة لأبي تمام التي هي أشهرها وجمع فيه من طرائف الشعراء للعصر الجاهلي والإسلامي والأموي،⁽³⁾ وغيرها من المختارات الشعرية. أمثل الأبيات في الحماسة كما يقول عنتره:

يدعون عنتره والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه، حتى تسربل بالدم⁴

وفيه قول عمرو ابن كلثوم:

¹ - ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية - بيروت، 2000م، ص: 53

² - ديوان امرؤ القيس، ص: 91

³ - تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، ص: 316

⁴ - ديوان عنتره بن شداد، ص: 87

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

6- الأدب:

تطلق هذه الكلمة على معرفة أشعار العرب وأخبارهم وأخذو يؤلفون بهذا المعنى كتباً سموها كتب أدب مثل البيان والتبيين للجاحظ، والكامل في اللغة والأدب للمبرد وغيرها من الكتب⁽¹⁾ وجمعوا فيها ألواناً من الأخبار، والأشعار، والخطب، والنوادر وفيه ذكر آراء صائبة تصدق في الواقع أو توافق المنطق وتوجز نتائج الاختبار الطويل في ألفاظ يسيرة، وليس من الضروري أن تروى الحكمة على لسان العلماء والأدكياء وأصحاب الاختبار في الحياة فقط، فلقد جرت أقوال من الحكمة البالغة على ألسن نفر من الجهال، والمشعوذين، وصغار السن ومن لا يكادون يبينون في كلامهم. والأمثال على لسان الحيوان تدخل أيضاً في باب الحكمة، وكذلك التزهيد والمواعظ.

7- الغزل:

الغزل تعبير عن عاطفة أصيلة في الإنسان، وتغزل الجاهلي بالمرأة وحدها، إلا أن غزله هذا جرى مجرى مجرى عفيفا ومجرى خليعا، أما الغزل العفيف فكان في البداية في الأكثر، وكان عفيف المعنى، عفيف اللفظ، وقلم صرح الشاعر المحب باسم حبيبته في الشعر، من أجل ذلك كان الغزل العفيف نسيباً يدور حول بث الشوق وتذكر الأيام الماضية والرغبة في لقاء الحبيبة، ويحسن أن نلاحظ أن الغزل كان يقال في المتزوجات أكثر مما كان يقال في العذارى، وكما يشير القاضي الجرجاني إلى ورود عواطف الزهد في الغزل.⁽²⁾ وفي الغزل يعبر الشاعر أصدق العواطف القلبية وأرقها وفي التالي أمثلة الأبيات الغزل لأمير القيس:

¹ - تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، ص: 5

- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الناشر: عيسى البابي الحلبي - القاهرة، 1386هـ،

² ص: 59

وَصَرْنَا إِلَى الْحَسَنِ وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرَضْتُ وَذَلْتُ صَعْبَةَ أَيِّ إِذْلال

فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّئُ الظَّنِّ وَالْبَالِ

لِيَغْطِ غَطِيطَ الْبَكْرِ شِدَّ خَنَاقِهِ لِيَقْتُلَنِي، وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَالٍ¹

وقول كعب بن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها، لم يجز مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ألا أغنّ غضيض الطرف، مكحول²

8- الفخر:

الفخر كانت صفة كانوا يعدونها من الخصائص العالية ينوهون بها الشعراء قبائلهم ويقصون محامدهم في العصر الجاهلي، والفخر من توابع العصبية والحياة القبلية، وكان الشاعر يفتخر بقومه أولاً وبنفسه ثانياً، ومقومات الفخر في الجاهلية كانت: شرف الأصل وكثرة العدد والشجاعة والكرم وما يتفرع منها، ويزيد الفخر بالنفس على الفخر بالقبيلة إذا تولى أحد بالسيادة، وكانت تعد هذه الصفة من محاسن الرجولة كما يشير إليه الجاحظ⁽³⁾، وذلك أن يكون المفتخر بقومه قد أصبح سيداً في قومه، وكان البدوي خاصة يفتخر بالنجدة (الإسراع إلى معونة الآخرين من ذات يده أو ذات نفسه أو بسيفه)، وكان أيضاً يفتخر بشرب الخمر واسقائها (لأن الخمر كانت في الجاهلية نادرة غالية الثمن) وفيه قول عمر بن كلثوم:

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه، حتى بينا

وأجود قول عنتره في الفخر:

تداعى بنو عبس بكل مهند حسام يزيل الهامة والصف جانح

¹ - ديوان امرئ القيس، تحقيق: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، ص: 125

² - ديوان كعب بن زهير، تحقيق: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية - بيروت، 1417 هـ، ص: 60

³ - البيان والتبيين للجاحظ، دار الصعب - بيروت، 1968 م، ص: 152

وكل رُديني كأنه سنانه شهاب بدا في ظلمة الليل واضح¹

المدح:

كان الجاهليون يمدحون بالمكارم التي كانوا يفتخرون بها. والمدح في الجاهلية يمكن تقسيمه قسمين: مديحا للشكر والإعجاب، يغلب على أهل البادية كما نرى عند امرئ القيس وعند زهير بن أبي سلمى، ثم مديحا للتكسب، يغلب على أهل الحضرة أو المترددين على الحضرة، كما نرى عند النابغة والأعشى، ولا ينبغي أن يخلو المدح من مناقب لآباء الممدوح وتقريظ من يعرف به.⁽²⁾

وأجود الشعر في المديح قول زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان:

بل أذكرن خير قيس كلها حسبا وخيرها نائل وخيرها حسبا

وذاك أحزمهم رأيا إذا نبأ من الحوادث غادى الناس أو طرفا

من يلق يوما على علاقته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

لو نال حي من الدنيا بمنزلة أفق السماء لنالت كفه الأفقا³

9- الرثاء:

والرثاء في الحقيقة مديح للميت. ولذلك نجد الجاهليين يرثون بالخصال التي كانوا يفتخرون بها ويمدحون، ولا ريب في أن رثاء الأقارب كان في العادة أقرب إلى العاطفة، ويتصل بالرثاء النواح، وهو الشعر الذي كانت النساء ينحن به على الميت، ويبدو أن النواح كان في الجاهلية قد قطع شوطا بعيدا من التقدم. وفي العصور التي جاءت بعده أصبح فنا وصناعة وحرفة فقالوا في أمثالهم: " ليست النائحة الثكلى

¹ - ديوان عنتر بن شداد، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة - بيروت، 1425هـ، ص: 27

² - كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، 1406هـ، ص: 104

³ - ديوان زهير بن أبي سلمى، تقديم: الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية - بيروت، 1408هـ، ص: 77

كالمستأجرة"¹) وكانت عادة العرب إذ كانوا يرثون قتلاهم بذكر فضائهم في الشعر ومن أجود الشعر في الرثاء قول الخنساء إذا ترثي أخاه معاوية وصخر:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية إذا طرقت إحدى الليالي بدهية
أيا صخر هل يغني البكاء أو الأسى على ميت بالقبر أصبح ثاويًا²
وقالت أيضا في صخر:

أرى أم صخر ما تجف دموعها وملت سليمى مضجعي ومكاني
فأي امرئ ساوأي بأمر حليلة فلا عاش إلا في شقا وهوان³

10- الهجاء:

الهجاء كانت سمة شائعة عند العرب وتعد من الفنون القديمة، وكانوا يستخدمونها ضد الأعداء كوسيلة تكسير الهمم وخلعاً عن الصفات الحميدة ونزعا للمكرمة والخلق العالية يتصفونهم بدناء الأصل والجبن والبخل وقلة نفرهم وغيرها من الأوصاف الدنيئة والخصال القبيحة.

والهجاء هو تعيب وطعن وإزالة القيم الخلقية وتشويه سمعة الأعداء، فلا جدال هو مثل السلاح الهالك الذي يؤثر في القلوب والأذهان، وكان أشد عليهم وقع ضربة السيف، وبمرور الأيام أصبح فنا وصناعة وحرفة، ولكن مما يلفت النظر أن الجاهلي كان يهجو بالعيوب النفسية الخلقية ولم يهج بالعيوب الجسمية الخلقية. والهجاء بدوره كان قسمين أيضا: هجاء قبيحا - وهو الأشهر والأكثر - ثم هجاء شخصيا في الأقل. إن الحياة القبلية كانت تستتبع أن يكون الهجاء أو العداوة التي تقتضي الهجاء قبلية ولكن لم يكن عادة العرب أن يخاطب الشاعر القبيلة المهجوة ويتوجه بالكلام إلى شاعرها. ومن المعلوم أن الهجاء

- الكشكول، الشيخ بهاء الدين العاملي، تحقيق: محمد بن عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت، 1418هـ،

¹ص: 263

²- ديوان الخنساء، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة - بيروت، 1425هـ، ص: 120

³- ديوان الخنساء، ص: 3

خلاف القيم الدينية والأخلاق الرفيعة، فتركها بعض الناس تحت أثر النزعة الدينية، كما قيل أن مفضل الضبي قد ترك رواية شعر الهجاء في آخر أيامه لما أدرك فيها الحرج والتتبع لعيوب الناس وكشف عورات المسلمين، فأقبل يكتب المصاحف ويقفها في المساجد تكفيرا عن ذلك⁽¹⁾ وفي العصر الجاهلي أشهرهم في الهجاء النابغة الذبياني، وأوس بن حجر، وزهير بن أبي سلمى، والحطيئة، ولا سيما مؤخر الذكر منهم كان أشد في الهجاء الذي لم يسلم أحد منه، حتى أمه، وأبيه، وزوجته، بل وحتى نفسه حين قال:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلمنا بشرٍ فما أدري لمن أنا فائله

أرى لي وجهاً شوّه الله خلقه فقبح من وجه، وقبح حامله²

الحكمة:

إن الأدب العربي زاخرة بالحكم والأمثال والمواعظ الحسنة، وكانت هذه الظاهرة تلمح في بعض الشعراء الجاهليين الذين اشتهروا بالحكمة واكتسبوا من تجارب الحياة وتركوا للناس تراثاً قيماً. فمن أمثال هؤلاء الشعراء زهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وطرفة بن العبد وغيرهم. قد نظموا الحكم، والتجارب، والمواعظ في أجود الشعر ليخلدوها، فشاعت على ألسنة الناس وثبتت في أذهانهم حتى لا تنسى، ويليهما بعض النماذج لشعر الحكمة، قس بن ساعدة الايادي كان من أشهر حكماء العرب، وكان يؤمن بالله واليوم الآخر ويدعو الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي الأبيات التالية كان يعظ قومه بذكر الآخرة، وهو يقول:

ف

لنا بصائر

لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها يسعى الأصاغر والأكابر

¹ - أمثال العرب، مفضل الضبي، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي - بيروت، 1401هـ، ص: 22

² - ديوان الحطيئة، محقق: ابن السكيت، دار الكتب العلمية - بيروت، 1413هـ، ص: 172

لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقيين غابر

أيقنت أنني لا محالة حيث صار القوم صائر¹

قول زهير بن أبي سلمى ينشد أحسن الأبيات في المواعظ:

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرّم نفسه، لا يكرّم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته، أو نقصه في التكلم²

وقول طرفة في الحكمة:

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد³

وقوله:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند⁴

وقوله:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار مالم تزود⁵

خلاصة البحث ونتائجه :

هذا المقال ملخص موجز لمجتمع العرب الجاهلي والمذهب التقليدي في شعرهم، والمنطقة العربية يحيط بها الأماكن الصحراوية والجبليّة. وكانت العرب يعيشون دوماً في التنقل والبداءة في التماس الماء والكأ، وتذكرون في أشعارهم تلك المواقف التي يمرون بها في الأسفار الطويلة؛ كأطلال، وآثار الحبيب الراحل،

¹ - تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص: 21

² - ديوان زهير بن أبي سلمى، ص: 111

³ - ديوان طرفة بن العبد، شرح: مهدي محمد ناصرالدين، دار الكتب العلمية- بيروت، 1423هـ، ص: 26

⁴ - المرجع نفسه، ص: 27

⁵ - المرجع نفسه، ص: 29

وسرعة الراحلة وقوة سيرها، والصيد الذي يطاردونه، والمشاهد الطبيعية من الصحراء الممتدة، والأرض الجذب، والسماء الصافية، والنجوم اللامعة، والمناطق البرية، والشدائد التي يواجهونها خلال أسفارها. ومع ذلك اشتغالهم في الحروب ومشاعر العداوة والخصومة بينهم والعربي عاش طول الحياة لصيقا بقبيلته مما أنشئت فيهم الحماسة الزائدة وعواطف الفخر لآباءهم. فكل هذا له طابع عميق في شعر العرب الجاهلي، ولأنهم عاشوا في بيئة تصفو من شوائب العجمة، واختلاط الثقافات للأقوام الآخرين، والتأثيرات الخارجية مما جعل الأدب الجاهلي مرجعا للمتأخرين ولا تقل قيمته الأدبية في عصر من العصور. ومن هنا وصلنا إلى بعض النتائج التي يكشفها هذا البحث، وهي فيما يلي:

- 1- يكشف هذا المقال عن الجوانب المختلفة للمجتمع الجاهلي، وعاداتهم وتقاليدهم.
- 2- وهذا الموضوع يدل على البيئة التي يعيش فيها الشاعر أدوا الأديب لها دور بارز في خلق عادات الناس وتقاليدهم في الشعر، والشعر الجاهلي هو تمثيل كامل للمجتمع الذي يعيش فيه الشاعر الجاهلي.
- 3- أن العناصر الطبيعية وأحوال البيئة أثرت في الشعر وأنشئت فيهم خصائل الشجاعة، والحلم والصمود والغيرة والحماسة.
- 4- قد أنشئت بينهم خلال حقبة من الزمن التقاليد الشعرية مثل ذكر الأطلال وآثار الحبيب الراحل، ووصف الراحلة والطبيعة، وعواطف الحماسة والفخر والمدح والثناء والهجاء.